

# إطار المذهب الإنساني

تقدم جولييان هكسلي  
ترجمة ريس عوض

ويتحلل الى لا فن كما يتحلل الضوء الى ألوان الطيف وهو يمر في منشور كل أوجه النشاط هذه . فالأبد يتدرج حتى ينحدر الى اعلام مباشر ، والى دعاية ، والفن البصري ينحدر الى الزخرفة من ناحية ، والى الاعلان من ناحية أخرى ، والدراما الى مجرد تسلية ، والشعائر الدينية الى استمساك بالرسميات والمظاهر التي لا معنى لها . والرقص الى وسيلة لتزجية وقت الفراغ ، والعمارة الى مبان نفعية ، وغير جمالية تماما في بعض الاحيان . وبالطبع أيضا لكل فن تحليله الضوئي الى ألوان الطيف الخاص به الذي يتراوح بين الرديء والحسن . ومن المستحيل ان يتوفر فن حسن دون شيء من الادب الرديء ، ودون كثير من الادب غير المكترب .

وأجدني أقول ان التميز الجوهري في الفن يتلخص في انه يوفر خصوبة كيفية في الحياة عن طريق خلق تنوع في التجربة الجديدة . ويستطيع الفن أن ينقب عن الموارد العاطفية في الشخصية الانسانية التي يجوز أن تبقى بدونها من غير استعمال اما من الناحية الفردية او الاجتماعية - وهي مستويات مظلمة من الاحساس الشعوري واللاشعوري التي تشكل نوعا من القوة الدافعة ، والتي تحدد السعادة . والفن عملية امتداد لفواتنا خلال حساباتنا وخيالنا الى شيء لم نصل اليه من قبل . هو عملية اكتشاف لانفسنا وللحياة (١) . والفن يساعدنا في تمثيل التجربة التي تمدنا بها حواسنا وعواطفنا . وهو جزء ضروري في نظامنا القائم على العلاقة بين النفس وعملية التحول الغدائي . بل انه كما نؤدي أجسامنا فنحن بحاجة كذلك الى تقذية الخيال ومساندته . ويستطيع الفن ان يساعدنا بقوة في هذا . واذا تصورنا عالما يختفي فيه الفن ، فستصبح الحياة فيه غير محتملة .

ولكن على الرغم من أن الفن بوجه عام عملية اختلاف وتكاسر في التنوع الا أنه بوجه خاص على الدوام عملية تكامل وتركيب . وأي عمل فني ، مهما صغر شأنه ، يؤلف بين عدد من العناصر المنفصلة ( والتي تبدو متضاربة أحيانا ) ، ويجمعها ويصيفها في وحدة عضوية . ويستطيع الفن أن يترك أعماق الأثر في عقول الناس . فالشعير أو الرسم أو الموسيقى تحمل لكثير من الناس احساسا علويا ورؤيا ورؤية مجلوة . واني أحب أن أذكر ان الناثر بلغ ببرتوان رسل وهو طالب في جامعة كامبريدج مبلغا عند سماعه لأول مرة قصيدة بليك ( النمر ) التي ألقاها على مسمع صديق له وهما يرتقيان درج الكلية لدرجة أنه تعين عليه ان يستند الى الجدار حتى لا يتهاوت او يخور . ويمكننا في المسرحية ، كما يقول أرسطو ، ان نتطهر بوساطة « الشفقة والخوف » ، أو أن تملكنا عاطفة جماعية قوية ومحررة . وقد وجد كثير من الناس أن اول زيارة لهم للمسرح كانت أيضا العامل في دخولهم الى اسلوب في التجربة جديد وطاق . ولسنا نحن على ما كنا عليه تماما بعد قراءة « الحرب والسلام » لتولستوي . وتستطيع رباعيات بيتوفن التي عرفت بعد موته أن تنقلنا الى عالم آخر ، وان تحررنا من منطقة أخرى للوجود .

في الفصول الباقية من هذا الكتاب ، يشترك خمسة وعشرون عالما مبرزا في عرض موضوعات اختصاصهم كما تبدو داخل اطار افكار المذهب الانساني . ولكن قبل ان اترك القارئ ليستمتع بمعالجتهم للمشاكل التفصيلية ، من اقتصاد وعلم اخلاق ، وموسيقى وعلم اجتماع ، ومن تربية وتعليم وفسولوجية ألخ ، يجب علي أن احاول ان امهد الطريق ، مهما كان هذا التمهيد قاصرا وناقصا ، بأجمال ما ارى انه وجهة النظر الانساني فيما يخص بثلاث نواح من النشاط الانساني العظيم الذي يتجاوز فيه الانسان الانشغال المادي في كسب الرزق واعني بها الفن والعلم والدين .

واني استعمل هذه المصطلحات بمعنى واسع - فاستخدم مصطلح الفن ليشمل كل تعبير منظم عن التجربة في قالب ذي اهمية ودلالة ، وفعال من الناحية الجمالية ، والعلم بمعنى كل المعرفة والعلم المنظم ، كما استخدم الدين ليشمل سائر انظمة المعتقدات والاخلاق التي تعني اساسا بمشكلة المصير .

وهذه الانواع الثلاثة من النشاط متشابكة ومتراطة . ولكنها مع هذا متميزة اساسا عن بعضها البعض ، فهي تؤدي وظائف نفسية اجتماعية مختلفة .

ويكاد الفن ان يكون صنعة قاصرة على الانسان ينفرد بها . يكاد يكون وان لم يكن تماما . فطائر الفردوسي الذكر bowerbird الذي يعيش في استراليا ، يظهر تفضيلا واضحا من الناحية الجمالية ( لالوان مختلفة ، وأنواع مختلفة من الاشياء عند بناء تعريشته ) . بسل ان بعض افراد هذا الطير يقوم بطلاء الجزء الاسفل من تعريشته بمادة الخضاب الصابغة . واذا توفرت لدى الشيمبانزي « والفيلة فيما يبدو » المواد الطلوية ، نجد انها تستمتع بانتاج لوحات الرسم التي تظهر احاساما اوليا وبدائيا بالتصميم والنظام . ولكن مثل هذه الامثلة نادرة بين الحيوانات في حين ان الفن عند الانسان - في صورة او اخرى - ظاهرة تشمل ربوع العالم كله ، وتلب دورا هاما في سائر انواع المجتمع الانساني وعلى كل مستويات التطور الانساني .

واني اترك للفلاسفة وعلماء الجمال مهمة تعريف الفن . فانا معني بوصفي مؤمنا بالمذهب الانساني ، بالمسألة المحددة الملموسة المتعلقة بوظيفة الفن ، او بالمسألة الملموسة الاكثر تحديدا المتعلقة بدور الفنون المختلفة في المجتمعات الانسانية المختلفة . ويجب قبل كل شيء ان نذكر انفسنا انه من ناحية علم تطور الكلمات ليس هناك شيء اسمه الفن . والفن ليس كيانا قائما بذاته ، تماما كما ان الحياة ليست كيانا قائما بذاته . فهو كلمة ومصطلح عام مريح ، ولكنه يستخدم في اغلب الاحيان ليشمل نوعا معينا واسع المدى بعض الشيء من النشاط الانساني ومنتجاته . ومن المستحيل تحديد هذا النوع او مداه على وجه الدقة . وساستعمل هنا كلمة الفن لتشمل التنظيم الفعال للتجربة في قوالب متكاملة لها دلالتها العاطفية ، وتبعث على الرضا من الناحية الجمالية . ويشمل هذا جانبا من ممارسة النشاط وشيئا من منتجاته مثل الرسم والنحت والادب والدراما . والرقص والاحتفالات التي تتضمن الطقوس والشعائر ، والموسيقى والعمارة . ولكن الفن بطبيعة الحال ينزلق

(١) هذه العبارات المنهضة مقتطفات من كتابات سمح لي ان أقدم بالانتباس منها ( ج . هكسلي ) .

\* راجع العدد الماضي .

هذه هي المسألة . الفن يفتح ابواب ذلك العالم الاخر الذي فيه يتجاوز العقل والكيف حدود المادة والكم . وفي بعض الاحيان نعرض عن الفن وندفعه في احتقار على انه هروب من الواقع ، ولكننا جميعا بحاجة الى الهروب . واذا وضعنا جانبا حاجتنا في العالم الحديث الى الهروب من ملل الروتين وسفمه ، ومن حياة المدن التي هي على قدر من الآلية اكثر مما ينبغي ، فهناك الحاجة الدائمة التي تنتشر في ربوع العالم للهروب من قفس الحاضر الراهن والعمل الذي تقضي علينا الضرورة بقضاء الجانب الاعظم من حياتنا فيه ، وان نهرب فوق كل شيء من سجن ذواتنا الوحيدة والمحدودة .

والسؤال الذي ينتظر ردا هو « أين نهرب ، وكيف نهرب ؟ » فنحن نستطيع ان نهرب الى اسفل عن طريق الشراب او المخدرات او الانحلال . ولكن ليس هذا امثل طريق . او يمكننا ان نهرب هربا جانبيا عن طريق الالعاب الرياضية ، او تزجية وقت الفراغ او التسلية . وهذا مرغوب فيه بل وضروري في واقع الامر ، داخل حدود واسعة . او يمكننا ان نهرب الى فوق الى عالم جديد ( تذكر المنوان الذي اختاره بليك « المسافر العقلي » ) يشمل اقطارا جديدة من الحياة ، ومستويات جديدة من الوجود حيث تتصل بشيء اكثر بقاء وديمومة ، وابتعث على الرضا ، وبمعنى ما حقيقي ، ارفع مما نجده في عالم الاحتياجات المادية والروتين اليومي .

والانسان ، بحكم طبيعته بالذات ، يملك امكانية - بل في واقع الامر ضرورة - ان يحيى حياته في عالين على مستويين مختلفين من المعنى: عالم المادة والعمليات الميكانيكية ، وعالم العقل والعمليات النفسية - الاجتماعية . وعالم الذهن ، بالمعنى المحدد للكلمة ، عالم يتجاوز حدود المادة ، وفيه نفلح في الهرب من العالم المادي ، وما يتصل به من مقتضيات الكم عن طريق تجاوزه الى نوع من التركيب الاعلى الذي تنتظم فيه عناصر وجودنا الكيفية في صور وقوالب فعالة . وفي ضوء المذهب

الانساني التطوري يظهر الانسان وهو يكافح شعوريا او لاشعوريا ، لخلق مناطق اكبر من عالم العمليات الذهنية الذي يتجاوز حدود المادة ، كما يظهر الانسان وهو يسعى حثيثا في ألم نحو ولوج اكمل داخل مناطقه التي تبعث على الرضا .

ومن ناحية سير العملية الفنية ، فان أي عمل فني يترك أثره بنقل المعاني المتعددة في تركيب واحد . وغالبا ما يكون الإيحاء ، لا محاولات التوليد أو التصريح الجامد الدقيق ، أفضل طريق لنقل المعنى كما أوضح ذلك جومبرتش في كتابه « الفن والوهم » وقد يكون للإيحاء فاعليته على اساس التجربة المتسببة منذ أمد طويل ، بل حتى على اساس التجربة المبكرة المهضومة والمثثة لاشعوريا ، أو على أساس تداعي المعاني الذي تليه الذاكرة ، أو عن طريق الرمز القوي أو التصميم الفعال . وقد ينقل التعدد في المعنى بواسطة عناصر بمفردها في العمل الفني - ولتذكر قوى الترابط التي تنطوي عليها كلمات أو عبارات في شعر عظيم مثل قصيدة بليك « النمر » ، أو قصيدة كوليردج « كوبلاخان » أو شعر تراهيرن الذي فيه يقول : « كان الفصح لآلاء خالدا » ، وقوى الترابط التي تتضمنها شخصية واحدة في مسرحية مثل هاملت لشكسبير ، وربط العناصر المفردة بمعانيها المنفصلة في نموذج كاي متعدد الدلالة كما هو الحال في الانشاء التصويري العظيم مثل لوحة « مدرسة أثينا » لرفاييل، أو الانشاء الموسيقي العظيم مثل مقطوعة باخ B. Minor Mass او رواية عظيمة مثل « الحرب والسلام » لتولستوي .

ويستطيع الفنان أن يستخدم الأفكار الذهنية ، والمفاهيم الاخلاقية ضمن المواد الخام التي يقوم بتنظيمها ، وبهذا يحول العقل والاخلاق الى فن ، ويضفي الفنان على عمله الفني بعدا أكبر . وفي الرسم يكفي ان نفكر فقط في الخلفية الفكرية للوحة ميكلانجو « خلق آدم » والربط بين فكرني الامومة والقداسة في صور الصنءاء وطفلها ، وفي واقع الامر ان كل استعمال فعال للرمز والايكونولوجيا

صدر حديثا

# تأملات وجودية

بقلم الدكتور

زكريا ابراهيم

- لون جديد لم يعرفه الادب العربي من قبل
- خواطر ويوميات تشتمل بالفكر والحياة وتتناول مشاكل الوجود والموت والعدم والظلام ، وتذكرنا بيوميات كيركجورد وغابرييل مارسيل .
- مذكرات حية تلوح كلمع من النجوم وسط حلقة الجفاف الاكاديمي .
- كتاب هام يعيش قضية « الفكر » وسوف يكون بدء سير في طريق جديد من طرق التعبير بالعربية

منشورات دار الاداب

الثن ٢٥٠ ق.ل

( الرموز التي تتضمنها الايقونات الدينية ) شائع ومتداول. لقد ازدهرت التراجيديا الاغريقية ونبتت في ارض الافكار والمعتقدات الشائعة المتداولة. وتدين الكوميديا الالهية لدانتى بالفضل في عظمتها الطاغية للاطار الفكري القوي ، والمنظم بطريقة جميلة ، الذي تستند الكوميديا الالهية اليه .

ولن يكون في امكان الفنانين الصغار ان ينظمو هذه العناصر غير الجمالية في وحدة جمالية ، كما ان عملهم لن يرتفع فوق مستوى التشريح او الدعاية او الاخلاق او مجرد النقل والتمثيل الحرفيين . ولكن الفنان الجيد يستطيع ان يدمجها في كل اكثر خصبا في بوتقة خياله الخلاقة (٥٤) .

ورغم كل ما في تصميم الكنائس المسيحية على هيئة صلبان من مغزى رمزي وايدولوجي ، الا انه ليست له اية ميزة جمالية خاصة . ولكن مشيدي الكاتدرائيات والابرار العظام في القرون الوسطى ، استخدموا هذا التصميم للحصول على نتائج اشد ما تكون قيمة من الناحية المعمارية ، لم يكن ليستمتع بها العالم أبدا بأية طريقة أخرى ، لو لم يتم تنظيم النماذج الجيدة للحيز المطلق عند تقابل جناح الكنيسة بصحنها وبالمكان المخصص لكورس الرنمين . ولان الرموز والافكار تشكل مشكلة ، فهي تستطيع تماما كما تفعل مشاكل المادة أو المكان أو الموقع ان تكون تحديا منشطا للفنان سواء كان مهندسا معماريا او رساما .

ولا تزال الفكرة الفائلة بان الفن يتعادل مع الجمال ، بطريقة ما ، شائعة ، او انه قاصر على خلق الجمال ، رغم ان زيف هذا الزعم قد اتضح في اغلب الاحيان . فالفن يخلق المغزى ، المغزى الفعال من الناحية العاطفية والجمالية . والجمال من ضمن نتاجه ذي المغزى ، مما يجعل الفن يزيد من مستودع الجمال في العالم . ولكن الجمال ليس نتاجه الوحيد او حتى نتاجه الرئيسي . فهناك مجالات اخرى كثيرة يمكن حفظ الجمل فيها أو خلقه من اجل ان تستكمل الحياة الانسانية .

واذا نظرنا الى المسألة من على بعد نظري طويل ، فيمكن القول بان الفن والعلم كليهما في تقدم ، وان اختلفت طرق هذا التقدم . ففي حين ان الفن يزيد الخشونة الكيفية والملي الخاطيء للتجربة الانسانية والبصيرة الانسانية ، نجد ان العلم يزيد من حجم وعمق المعرفة ، وكفاءتها الفعالة وتنظيمها الاحسن كما انه يوسع منطقة الفهم الانساني ، ويزيد من قبضته .

ونتيجة الفن هو خلق الاعمال الفردية التي يختلف كل منها اختلافا كفيما عن بقية الاعمال كما يتفهم تنظيمها خاصا للتجربة . وقد يكون العمل الفني بالذات غير محدود بزمان ، بمعنى ان يستطيع الناس ان يستمروا في الاستمتاع به رغم انقضاء الوقت وتغير الظروف . اما العلم فيقوم على التراكم والتعاون اساسا . ويضيف العالم شيئا جديدا الى كل نام ومتسع ، تكون وحدته اكثر اهمية واجل خطرا من الصفة الفردية التي تتسم بها الاضافات الفردية التي تندمج في اطار وحدة هذا الكل . ولكن الفن ليس تراكميا او تعاونيا بهذه الطريقة. والفن بالتعبير التطوري عملية تفرعية تزيد من الاختلاف والتنوع . وفي تطوره التاريخي ، يلعب الفن نفس الدور بعض الشيء الذي يلعبه الاشعاع التلاؤمي والتنوع في التطور البيولوجي . فكلهما يؤدي الى استفادة اكمل للموارد والفرص الكامنة في البيئة - وتكون الاستفادة في حالة الاشعاع التلاؤمي من الموارد والفرص المادية التي تتوفر لعملية التحول الغذائي العضوي في البيئة الطبيعية . اما في حالة الفن فتكون الاستفادة من الموارد والامكانيات العاطفية الجمالية التي تتوفر لعملية التحول الغذائي - النفسي في البيئة بأسرها سواء كانت طبيعية أم ثقافية . هذا هو اهم جانب تطوري للفن . ولكن الفن تقدمي وذو وجهة بطرق وأساليب

\* تساهدنا الكتب مثل « النظر الى الصور » تأليف كنت كلارك، طبعه لندن ، سري ، ١٩٦٠ ، و « الفن والوهم » تأليف جاميرتش، طبعه لندن ، ١٩٦٠ ، على فهم ندرة الفنان المبدعة الخلاقة . ( ج. هكسلي ) .

أخرى . وهو تقدمي في حصيلته . وفي الفصل الذي كتبه ستيفن سيندر نجاه يناقش الحقيقة المذهلة التي أكدها مارلو لاول مرة . وهي ان الحصيله الكلية للفن الماضي تتوفر لدينا اليوم لاول مرة في التاريخ لكي نستمتع بها في الوقت الحاضر . ويتقدم الفن من الناحية الفنية فالرسامون مثلا ، اما يشئون بتابع اساليب ماضية ، واما ان يكون موفهم رد فعل ضدها ، والبحث عن تكنيك جديد . والفن تقدمي بالضرورة بمعنى ان الناس بمضي الوقت لا يتعلمون تحويل الجوانب الجديدة للتجربة الى فن فحسب ( كما فعل رسامو عصر النهضة بالحيز وزاوية النظر او كما يفعل الفنانون المعاصرون الان بالرسم التجريدي او الفعل ) بل ان يكتشفوا كيفية تنظيم أكبر عدد من الاجزاء المختلفة التي تتألف من الفكر والعاطفة كما تتألف من التكنيك في عمل واحد يشكل كلا ذا مغزى ومدلول . وبمعنى آخر ، ان يكتشفوا نماذج عليا من التنظيم الجمالي . والسيمفونية بمعنى ما حقيقي ، ارفع كعمل فني من اغنية أو مارشي عسكري وكنيسة الساحة الصغيرة في يادوا التي زخرفها جيونو افضل من اية لوحة مرسومة بمفردها من رسوم كهوف لاسكو ، كما ان الكوميديا الالهية لدانتى ارفع شأننا من المقطوعة الشعرية المعروفة بالسوناتا . وان الحرب والسلام لتولستوي : أعلى شأننا من قصة قصيرة لوبرسان او حتى من دون كيشوت .

وهناك طبيعة الحال داخل كل نوع او درجة من التنظيم كل مدى ممكن فيه تدرج من الحسن الى الرديء . تماما كما ان هناك كل مدى ممكن من الانواع والسلالات الناجحة الى الانواع والسلالات غير الناجحة داخل الدرجة الواحدة من التنظيم البيولوجي مثل الثدييات او الزواحف. ولكن هذا لا يدحض الحقيقة التي تتمثل في كون بعض درجات التنظيم الجمالي ، أعلى ، من غيرها ، تماما كما يكون تنظيم الثدييات ، بالمعنى العلمي المحدد ، أعلى من تنظيم الزواحف . ومن الواضح في كلتا الحالتين ان تقدما حقيقيا قد احرز .

ومن الواضح ايضا في بعض الفترات مثل العصر الفيكتوري ان الفن الرسمي او الشائع والمقبول بين عامة الناس يميل الى ان يصبح عاديا وعاريا عن التفوق او غير ذي بال ، وهذا بدوره يولد حركات في الرسم باسم ما قبل الراقيلية ، في انجلترا . او انها قد تحطم قشرة التقاليد وترسي اساس تيار للتطور جديد ومثمر مثل المذهب التائيري في فرنسا .

ويدعم المتمردون عادة مركزهم بتكوين مجموعات تحت يافطات ذات طابع محدد وان تراوحت درجة تحديده - مثل ما قبل الراقيليين، والمدرسة الباربيزونية ، وما بعد التائيريين ، والتكعيبيين، والسرياليين ، ولكن يقوم بالدور القيادي دائما فنانون خلاقون افراد من ذوي العبقرية والتصميم مثل - جيوتو ، وميكلانجيلو ، ورامبراندت ، وكوستانتينيل، وتيرنر ، ومانيت ، وفي وقتنا الراهن بيكاسو ، وكل ، وهنري مور .

وليس هناك كبير نزاع في ان الكثير من التطورات في الفن في البلاد الغربية منذ ١٩٤٥ يعكس او يعبر عن العدمية التجلية في فترة ما بعد الحرب ، وتناثر اجزاء حياتها بين الاحباط والرجاء ، وفوضاها الفكرية، وخيبة املها الاخلاقية ( ونشأة الفلسفة الوجودية هي احد اعراض نفس الفئيان المرضى ) . ونفس مجرى الحوادث المختلف في البلاد الشيوعية هو مثال ايضا على اثر الافكر والمعتقدات والمواقف على الفن . والامر في هذه الحالة هو اثر اللاهوت المتزمت القائم على المسلمات ، والسني يعمل بمقتضى اساليب القسر والتسلط بل الاضطهاد الصارخ الفاشم أحيانا . ولكن انتشار افكار المذهب الانساني سيعمل على التمام الصدع بين الفن الخالق وبيئته الاجتماعية .

وللفن عدد من التطبيقات في حدود وظيفته الهامة الشاملة . فالفن يستطيع ان يلعب دورا تعليميا هاما في العملية التربوية وكمليسة تربوية . ومعظم الاطفال الصغار - بما فيهم على وجه خاص اولئك الذين تغلو عقولهم من الاستعداد الفكري او البيكانيكي - يستطيعون الاستمتاع

ومفراه ، وعلى دواعي العجب فيه وجماله . ولكنه يشهد أيضاً على فطاعته وفحبه . وقد تكون شهادته عن طريق التأكيد ( تأكيد ما فيه من جمال ) او عن طريق الاحتجاج ( على ما فيه من قبح ) . ولكن وظيفته، حتى حين لا يكون شاعراً بها ، هي تفسير العالم للانسان وتفسير الانسان لنفسه . وهو من الناحية الاخرى كخالف يوفّر تجارب تدعو للنشاط والتحفز كما تدعو للبهجة ( ولنفكر في تيرنر أو سترافينسكي او أوضح مثل شيكسبير ) . وللفن كمنشط اجتماعي جماعي نفس الوظيفتين الرئيسيتين . ولعله يجدر بي أن أقول ان الفن يستطيع ان يكون له هاتان الوظيفتان لان الاهمال أو التشويه يصيب الفن في بعض المجتمعات بل أنه يرفض كما هو الحال في اسبرطا القديمة . ولا يجب علينا ان ننسى ان المعمار فن ، او بعبارة اصدق وأصح ان الفن يلعب دوراً ضرورياً في المعمار سواء في تقسيم الارض او التصميم . ويستطيع فن العمارة بهذا المعنى الواسع ان يؤدي وظيفته الخاصة في التعبير عن الافكار والآمال الانسانية . ويستطيع المعمار الجيد ان يزيد من خصوبة الحياة الانسانية وخاصة حياة المدينة في حين ان المعمار الرديء يفرها كما هو واضح بصورة لا تحتاج الى بيان في البلدان القبيحة الكثيرة ، اطراف المدن المملة غير الشيقة . والمسطحات المنبسطة أسفل الارض في عصرنا . وأهمية الوظيفة الاجتماعية للمعمار واضحة للمؤمن بالمشهد الانساني والمشكلة تنحصر في حث الموظفين ودفعهم الضرائب للاعتراف بأهميته اعترافاً عملياً .

ويجب أن نذكر أيضاً أن الفن يتصل بالتصميم . والفن ضروري لتصميم الاواني الفخارية وأوعية الطبخ وصناديق البريد القمامة على عمدان ، وأقلام الرصاص ، والاواني الصينية ، والاعلانات التي تلصق على الجدران مثلما هو ضروري لنوع اللوحات والنحت . وواقع الامر ان بعض الاواني الفخارية هي أعمال فنية أفضل من الكثير من اللوحات . ورغم أن الدور الذي يلعبه التصميم أكثر تواضعاً من الفنون الجميلة الا ان وظيفته الاجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها مثلما لا يمكن الاستغناء عن وظيفة الفنون الجميلة الاجتماعية . وفي المجتمع المحقق لاهداف الانسانية الذي يتصور المذهب الانساني اقامته، سيعطي الفن دوراً كبيراً - ليكمل القطاع الهام ، ويشهد على خصوبة الوجود وغناؤه ، ويؤكد القيم في صورة ملموسة فعالة ، وان يوفّر اعمالاً فنية عظيمة تستطيع المجتمعات الانسانية ان تزدهر بها كما تستطيع الانسانية خلالها ان تجد نفسها وتحقق ذاتها بطريقة أكمل وأوفى . ولكن قبل ان يمكن تحقيق أي شيء من هذا القبيل ، ستكون امكانيات الفن النفسية - الاجتماعية ، وأفضل طرق لتحقيقها بالفعل في حاجة الى دراسة عميقة .

( التتمة في العدد القادم )

## فندق كلاريدج

شارع سليمان بالقاهرة

موقع ممتاز وأسعار معتدلة

إدارة: حلمي المباشر

بحياتهم ، ( وما هو أهم من ذلك ) ان يجدوا انفسهم ويحققوها بطريقة أوفى بوساطة صورة من صور ما يطلق عليه بنوع من الفخار والخيلاء ( التعبير الخالق ) ، وخاصة ربما في الرسم والصلصال . ويستطيع التعبير الخالق أن يساعدهم في تطوير شخصياتهم الصفرة بطريقة أكثر تكاملاً من الناحية العاطفية ، كما يستطيع ادخالهم في تجربة متعمقة للعالم واكتشاف امكانيات داخلية جديدة في ذاتهم . انه لمن اليسير جدا استغلال عدم الثقة والقصور الناجمين عن احساس المراهقين بانفسهم في تقييد حريتهم ومنعها من النمو ، وفي طبع تعبيرهم بانطباع والانماط التقليدية . ولكن باستعمال الطرق الصحيحة ، تستطيع الفنون الاستمرار في لعب دور هام خلال سنوات التربية والتعليم .

وعلى الرغم من ان ( التعبير الخلاق ) يبدو ضخماً ومليئاً بانخيلاء عند تطبيقه على الاطفال الصغار الا انه في واقع الامر سليم تماماً . والفن برمته حتى ( والشخطة ) في الكنبه و ( التلطيخ ) في الرسم اللذين يقوم بهما الاولاد والبنات الصغار ليس مجرد مخرج للتعبير عن الذات فحسب بل هو نوع من انواع الخلق ، وتكامل شخصي يفرسه الخيال على جزء من أجزاء تيار التجربة التفسير الزائل . وبهذا المضمون يمكن للفن ان يعمل كقوة محررة تهدف الى التكامل في المخلوق البشري المتطور .

وقد يحق لنا أن نفترض ان هذا المزيج من التحرير والتكامل هو الوظيفة الرئيسية لعظم الفنون التي يمارسها الكبار كهواية أو كوسيلة للاسترخاء . وقد يميل هذا المزيج بالانسان الذي يفكر في ذاته نحو تعبير عن الذات فيقدم احساساً شديداً بالدلالة الشخصية . ولكن يبدو انه غالباً يقوم ببساطة على الشعور بالحاجة للتعبير عن تجربة ما ، ذاتية وقوية في الصورة الموضوعية لقصيدة او لوحة . ويتطلب تحقيق هذا ( كما يعلم أي واحد شعر في شبابه انه مدفوع الى كتابة الشعر ) مجهوداً خلاقاً خاصاً . ولكن مجرد العملية التي يتم بها هذا التحقيق - مهما كانت ناقصة - توفر شعوراً خاصاً بالرضا .

وقد يكون للفن أيضاً قيمة شغافية . فنتستطيع ممارسة بعض الفنون ان تحفظ انواعاً نفسية معينة من الاصابة بأمراض عصبية كما انها تستطيع ان تساعد على الشفاء من الانهيار العصبي .

ورغم ان المؤمن بالمذهب الانساني يبدي اهتمامه بتلك الطرق المتنوعة ، التي يمكن بها لما يجوز ان نطلق عليه اسم ( الفن الهادي ) ان يساعد على التطوير الفردي وعلى تحقيق الفرد لذاته ، الا ان اهتمامه الرئيسي يجب ان يتجه شطر الفن المحترف ، ووظائفه النفسية - الاجتماعية . كيف والى أي مدى يعكس الفن ، او يعبر عن فترة او شعب ؟ كيف والى أي مدى يساعد الفن على الخصب الثقافي والتحقيق الثقافي ؟ - وباختصار ما هو الدور الذي يلعبه في تطور الانسان ؟

من الواضح ان الفنون تنطور داخل منطقة معينة . كل فترة جديدة ، وكل جيل جديد يتطلب التغيير سواء شعورياً او لا شعورياً . وحيثما يتلخص التغيير أساساً في تطوير أكمل أو حتى في المبالغة في قدر اسلوب موجود او تقليد قائم . وحيثما يكون التغيير رد فعل ضد الاسلوب الموجود أو التقليد القائم ، مصحوباً بظهور أساليب ومواقف وتكتيكات جديدة تقاير ما سبقها مفايرة تامة . وحيثما يكون التغيير مزيجاً من الامنين ( من التطوير ورد الفعل ) . ويعطينا جومبرتش في كتابه الفائن كثيراً من الامثلة . والفصل الذي كتبه ستيفن سيندر في هذا الكتاب بحث شيق في علاقة الفنان الفرد ببيئته الاجتماعية والايولوجية .

ولكن هذا لا يدعو ان يكون عنصراً واحداً في المشكلة . وأنا أميل الى القول بان أكثر اجابة شيوعاً وعموماً تجري على النحو التالي بعض الشيء : للفنان الفرد وظيفتان - وظيفته كخالف ووظيفته كمفسر . وهو كمفسر يترجم الترجمة المعقدة وذات صفة عاطفية الى صور يمكن نقلها نقلاً مباشراً . وبهذا فهو قادر على التعبير عما كان سيقبى لولده في طي الصمت دون سبيل الى التعبير عنه . ويشهد الفنان على تنوع العالم